20 me. année No 990

Le Caire 28 — 6 — 1952

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الادارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن هذا العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العدد ٩٩٠ «القاهرة فى يوم الاثنين أول شوال سنة ١٣٧١ — ٢٣ يونية سنة ١٩٥٢ — السنة العشرون

البعث الدينى فى الغرب

للدكتور عمر حليق

يتساءل الدكتور « راينهولد نايبور »، أحد أقطاب اللاهوت البروتستنتى فى أمريكا، عما إذا كان المجتمع الغربى يمر الآن فى بعث دينى كفيل بأن يتسرب إلى صميم السلوك السياسى والاقتصادى للشعوب المسيحية فى الغرب، فيضع حدا لهذه الأخطاء الشنيعة التى تشوب سلوك الإنسانية، وتدون صحف التاريخ بأحرف النار والدمار

وجواب هذا القطب البروتستنتى عن القسم الأول من هذا التساؤل، أن هناك اتجاهات واضحة فى الانتاج الفكرى، وفى السلوك اليومى للشعوب الغربية، تدل بوضوح على أن هناك بعثا دينيا تزداد مظاهره جلاء يوما بعد يوم. ولكن صاحبنا يعترف بأن من الصعب عليه — وعلى أى كان من المراقبين المعاصرين لحاضر السلوك الدينى فى أمريكا وأوربا الغربية — أن يقدم البراهين القاطعة على هذا البعث الدينى، براهين تستند إلى حركة جديدة ثابتة الأركان كتلك التى سجلها عن حركات البعث الدينى، وحدد أزمانها ومعالمها وأقطابها وأهدافها ومبادئها. ويعترف هذا الزعيم البروتستانتى كذلك بأنه قد يكون مخطئا فى تفسيره لمظاهر هذا البعث الدينى الجديد. فقد تكون هذه المظاهر ليست إلا سحابة صيف عابرة، لا تستطيع أن تحيى موات الأرض

وقد عالج الدكتور نايبور هذه الناحية فى حاضر الثقافة المسيحية فى بحوث عديدة منها كتابه « الإيمان والتاريخ Faith and history » ودراسة حديثة للعنصر الدينى فى تاريخ أمريكا المعاصر the Irony of American history، وفصول وكتب أخرى تدرس فى أكبر معاهد الديانة البروتستانتية فى أمريكا

ويستشهد هذا العالم البروتستانتى للدلالة على أن الغرب يمر فى فترة إحياء دينى بأمرين :

أولهما نجاح نفر من الوعاظ المسيحيين فى أمريكا وبريطانيا برد آلاف من الرعية إلى حظيرة الكنيسة، كما تدل على ذلك إحصاءات الهيئات الكنسية

ثانيهما هذه الظاهرة القوية التى أخذت فى السنوات الأخيرة تتسرب إلى الانتاج الأدبى والفنى فى أوربا وأمريكا، ظاهرة تجد الخلاص فى مشاكل النفس وأزمات الضمير فى الإيمان [1] والرجعة إلى الدين. ويشترك فى هذه الرجعة نفر من الكتاب

(١) يستعمل كاتب هذه السطور كلمة (الايمان) بمعناها الغربى

والشعراء فى ثنايا المنظوم والمنثور من إنتاجهم الأدبى .

وبعض هؤلاء الأدباء والمفكرين يدعو إلى الرجعة إلى الإيمان بأوسع معانيه ، مسيحيا كان أم بوذيا أم كنفوشيا، وتتخذ هذه الرجعة إلى الدين لونا من التصوف العميق كما هو الحال عند الأديب البريطانى الشهير (آلدوس هكسلى) الذى نشأ فى بيت خاص العقيدة الدينية خصومة عنيفة ، واشترك جده الأكبر مع « داروين » فى مناقشة التفسير الدينى بطبيعة الأشياء ، وأصول النشوء والارتقاء . ولآلدوس هكسلى كتاب يعالج فلسفة التصوف فى الشرق والغرب ، فى تحبب وإعجاب ولون من الإيمان العميق بها

وجدير بالذكر أن الاتجاه نحو التوسع فى نشر التعليم الدينى تدعم معظم الأوساط الجامعية فى أمريكا الشمالية ، كما أشار إلى مؤتمر رؤساء الجامعات الأمريكية ، وهيئات الخريجين الذى انعقد مؤخرا فى شيكاغو

فإلى ما قبل سنوات قليلة كان التعليم الدينى مقصورا على موضوع أو موضوعين ، يعالجان التوراة والإنجيل (العهد القديم والعهد الجديد) من ناحية أدبية بحتة ، تتعمد تربية الذوق الأدبى والثروة اللغوية أكثر مما تهدف إلى شرح التعاليم الدينية ودقائقها

والشعب فى أمريكا يتحدث الآن عن ذيول القرار الخطير الذى أصدرته منذ بضعة أسابيع فقط محكمة العدل العليا بواشنطون ، وهى أهم مرجع قضائى فى الولايات المتحدة الأمريكية، وأقرت به الحق لطلبة المدارس الحكومية ، الابتدائية والثانوية ، فى أن يختاروا حصة معينة من جدول الدراسة الأسبوعى ، يتلقون خلالها دروسا دينية ، كل حسب المذهب الذى ينتمى إليه ويختاره له أبواه أو أولياء أمره . وجدير بالذكر أن التعليم الدينى فى المدارس الحكومية فى أمريكا ، لا وجود له مطلقا . وإذا علمنا أن حوالى ٩٠ ٪ من الطلبة الأمريكان يتلقون علومهم الابتدائية والثانوية فى مدارس الدولة أدركنا خطورة هذا الوضع على الحياة الروحية بين الأحداث الأمريكان ، والفضل فى الإبقاء على الحياة الدينية يرجع إلى نظام (مدارس الأحد) التى أنشأتها الكنائس البروتستانتية ، واقتبسه عنها الكاثوليك واليهود ، ليتلقن الحدث فيها أمور دينه مرة كل أسبوع على يد القساوسة والحافظين للتعاليم الدينية من رواد الكنيسة وأتباعها

وهذه القسوة فى إبعاد التعليم الدينى عن برامج المدارس الحكومية فى أوربا الغربية وأمريكا الشمالية ، يعود إلى السياسة التى تعمدت فصل الدين عن الدولة ، وهى سياسة اتبعتها بعض الدول المسيحية لتتفادى الصراع الطائفى بين مواطنيها ، فالبروتستانت والكاثوليك ، يعيشون جنباً إلى جنب فى الدول المسيحية ، والصراع المذهبى بين الكاثوليكية والبروتستانتية كان ولا يزال على حدته المعهودة . فالبروتستانت تتهم الكاثوليك بالولاء لمركزية الفاتيكان وسلطة البابوية ، وهى سلطة يعتقد البروتستانت بأنها تتعارض فى بعض الحالات مع المبادئ الديمقراطية وحق الجماعات الدينية ، بأن تواجه مشاكلها الروحية المختلفة على ضوء الأوضاع والظروف الخاصة التى تتميز بها الجماعات ، ولا موجب لأن يتقيد الناس بمركزية الفاتيكان وهى مركزية يعتقد البروتستانت بأنها صارمة

وقد كان للنفوذ اليهودى القوى فى دخيلة الولايات المتحدة أثر فى تقرير الاتجاه بفصل الدين عن الدولة . فالتعاليم المسيحية بروتستانتية كانت أم كاثوليكية ، تدين اليهود بصلب المسيح ، وألوان المشادة والتعذيب والتآمر والتنكيل التى صاحبت نشوء المسيحية بين اليهوديين . وإذا جردت برامج التعليم فى المدارس الحكومية من نشر هذه التعاليم المسيحية ، أزيلت تدريجيا من أذهان الناشئة حقائق الصراع المذهبى بين المسيحية واليهودية من جهة ، وبين الكاثوليك والبروتستانت من جهة أخرى . وقد نجح اليهود فى توحيد جهودهم مع البروتستانت فى أمريكا وجعلها جهدا مشتركا للوقوف فى وجه الفاتيكان . ثم فصل الدين عن الدولة فى مظاهر رسمية على الأقل ، ومنها التعليم الحكومى . والواقع أن البروتستانت أكثر ميلا إلى تسامح

مع اليهود منهم إلى مصافحة الكاثوليك . فالفاتيكان يدرك إدراكا تاما خفايا اليهودية العالمية ومطامعها وأهدافها ، ولذلك فهناك صداقة مفقودة بين الفاتيكان وحكماء صهيون

قلنا إن قرار محكمة العدل العليا الأمريكية الأخير ، قد تغلب على مشكلة التعليم الديني في مدارس الدولة ، وذلك تلبية لحملة عنيفة شنها أولياء أمور الطلبة ، وأشاروا فيها إلى أن خلو برامج التعليم من الدروس الدينية قد خلف أزمات روحية وأخلاقية لم تعد تقوى أساليب التعليم الحديث على معالجتها دون معونة الدين ، وهذه الحملة من الأدلة التي يستشهد بها بعض زعماء الدين المسيحيين في معرض إشارتهم إلى البحث الديني الذي يعتقدون أنه أخذ ينمو في حاضر الغرب

ومما لا ريب فيه أن الثقافة الدينية تجد في أوربا — باستثناء منطقة النفوذ الشيوعي — مرتعا أكثر خصوبة ، منه في العالم الجديد

فالكاثوليك جذوع راسخة في ألمانيا وفرنسا ، فمدارس الفكر العتيدة التي تمثلها : مجلة فرانكفورتر هافتي في ألمانيا ، ويتزعمها في فرنسا جيلون وماريتان ، هي من دعائم الفكر الكاثوليكي في حاضر الثقافة الفرنسية خاصة ، والأوربية على وجه العموم

ويراقب الفاتيكان هذا النشاط الثقافي في إطار العقيدة الكاثوليكية مراقبة دقيقة ، فبين رجال الكهنوت في الكنيسة الكاثوليكية — وعلى الأخص في فرقتها المثقفة كجماعة اليسوعيين والبندكتيين — جماعة تفرغوا لحاضر الأدب والفن والفلسفة ، وساهموا في دراستها والتعقيب عليها ، ووفروا لأنفسهم نفوذا بالغا ، ساعدهم على تحقيق ما للفاتيكان من قوة في المواصلات الفكرية الحديثة ، في دور النشر والصحف ، وهيئات الإذاعة . وحين يلمس الفاتيكان شعوبية في التفكير بين المثقفين الكاثوليك من غير رجال الكهنوت ، يلجأ البابا إلى هذه المنشورات البابوية المعروفة بـ Encyclical التي تعبر في لغة دقيقة عميقة عن رأي الفاتيكان في شؤون الفكر والبحث العلمي . وقد أصدر البابا في ٢١ أغسطس عام ١٩٥٠ ، واحدا من هذه المنشورات الهامة بعنوان « في الإنسانية » شرح فيه موقف العقيدة الكاثوليكية من البحث العلمي ، الذي يتعمد أن يبرز المكتشفات الحديثة في علوم الطبيعة والذرة والفلك والتعليلات الفلسفية ، على أساس المقارنة مع التراث الكاثوليكي في هذا النوع من النشاط العقلي . وقال البابا إن الكنيسة الكاثوليكية لا تقف موقفا معاديا للبحث العلمي ، فبعض ألوان هذا البحث قد يكون متمما للقيم الدينية والأخلاقية التي تستند إليها الديانة المسيحية . ولكن الذي يخشاه الفاتيكان هو أن يتطور هذا النشاط العقلي ، فيتحمس لتشريح العقيدة الدينية بمبضع البحث العلمي ، فيقضي على النفوس اطمئنانها . فالإيمان بالعقيدة أمر يكتسب بالفطرة ، والتكوين الروحي العميق ، وبعض حقائق هذا الإيمان لا يمكن أن تفسر تفسيرا علميا كما يفسر التفاعل الكيماوي والحركة الميكانيكية ، فإذا كان القصد من تسليط أضواء البحث العلمي على العقيدة الدينية لزداد قبولها بين الناس ، فحري بالمتحمسين لهذا القصد أن يتريثوا قبل أن يشكل عليهم الأمر ، ويدفعوا إلى الشك والإلحاد . فكما أن لقدرة الإنسان حدودا وقيودا تجعله في بعض الحالات عاجزا عن تعليل الأسرار العلمية وخفاياها ، فإن لقدرة الفكر على تحليل الإيمان بالعقيدة الدينية ، حدودا وقيودا كذلك . فالتطرف في كلتا الحالتين ، يفسد على المرء إيمانه بالعلم وإيمانه بعقيدته الدينية

هذه الإرشادات التي تصدر عن الفاتيكان بين آنة وأخرى هي وليدة دراسة دقيقة للاتجاهات الفكرية في الجماعات التي تؤلف المجتمع الكاثوليكي بأوسع معانيه . وهذه الإرشادات هي بمثابة فتاوى يشترك في وضعها أهل الاختصاص من الكرادلة والمتبحرين في علوم الكنيسة ، والما كفون من كهنوتها على متابعة الأدب والفن والتيارات الثقافية المعاصرة

وليس للكنيسة البروتستانتية — بسبب تشعب فرقها — مركزية لشبيه الفاتيكان . ولذلك فإن تسجيل الاتجاهات

الدينية بين البروتستانت يكون بنوع من الدراسات الإحصائية التي يغرم بها الأمريكان ، وهم اليوم عماد العالم البروتستانتي .

وعلى كل فإن كلتا الطائفتين — البروتستانتية والكاثوليكية — تمر الآن في نوع من البعث الديني ، سواء تعرف عليه البروتستانت بطرق الإحصاء ، أم سجله الكاثوليك في الفاتيكان بأساليبهم الخاصة

والمراقب للحياة الدينية في الغرب ، لا يصح أن يعتمد في تسجيله لظواهر هذا البعث الديني على أقوال رجال الدين أنفسهم ، فهم بحكم حماستهم وعلاقتهم المهنية بالدين ، أميل إلى تجسيم الظواهر ، منهم إلى معالجتها معالجة إيجابية

ففي الغرب أناس من غير رجال الدين ، يلمسون ظواهر هذا الإحياء الديني ، ولكنهم يفسرونها تفسيرا خاصا

فمنهم من يقول إن الرجعة إلى الكنيسة مبعثها « أزمة الأعصاب » التي تعترى الناس في أوربا وأمريكا ، بعد أن أتت الحرب الأخيرة ، والحرب الباردة الحالية على البقية الباقية من الاستقرار النفسي ، الذي تركتها الحرب العالمية الأولى والأزمة الاقتصادية الخانقة التي حلت بالغرب في فترة ما بين الحربين

وبعضهم يدعي بأن المجتمعات أميل إلى التعلق بلون من الإيمان الديني الثابت حين تداهمها ظروف حادة من الهستريا الشاملة التي تصاحب فترات القلق السياسي والاقتصادي ، كهذه الفترة التي تمر بها المجتمعات في أوربا وأمريكا اليوم . فالرجعة إلى الكنيسة — في رأى هؤلاء البعض — مدفوعة بالرغبة في التخلص من المآرق النفسية والمادية التي هيمنت على ملايين الأنفس التي أخذت تكفر بالمبادئ الاقتصادية ، بعد أن بليت بشرورها في الحرب الأخيرة وحرب كوريا ، فرغبت في أن تتخذ لنفسها مخرجا في اختيار المبادئ الدينية

ومن الطريف أن طغيان العلم ، وما خلقه من آلات الدمار الذري وقنابل الجراثيم ، قد وفر لرجال الدين في أوربا وأمريكا فرصة حسنة للدعوة وترويج المبادئ الدينية ، فالوعي الباطني للمجتمعات في أوربا وأمريكا يرتجف هلعا من القنابل الذرية ، والبحوث والإرشادات للوقاية من ويلات هذه القنابل وملحقاتها لم تبعث في هذه المجتمعات أملا في النجاة والوقاية التامة ، وإنما زادت خوفهم خوفا ، وحين يتطرق الواعظ الديني في كنيسته — على سبيل المثال — إلى موضوع القنبلة الذرية وأهوالها ، ويقول لسامعيه بأن ابن آدم يعبث بآلات علمية ، لا يدرى إلا الله مدى شرورها وأهوالها ، وأن المخترعات الحديثة هي وليدة الصدفة ، وليست وليدة العقل البشرى الجبار ، والدليل على ذلك عجز هذا العقل البشرى عن استنباط الوقاية من هذه الشرور العلمية. حين يتحدث الواعظ بمثل هذا المنطق يجد لدى سامعيه آذانا صاغية ، وهذه الآذان لا يهمها في أكثر الحالات أن تدرك عظمة الألوهية بقدر ما ترغب في الخلاص من مخاوفها وقلقها . فإذا عجز العلم عن إزالة هذه المخاوف وإبادة هذا القلق ، فلا مفر من أن يجد المرء السلوى في القضاء والقدر والعناية الإلهية

ومن هذه الظاهرة يلمس المراقب للحياة الدينية في الغرب الرغبة بين الأوساط الدينية البروتستانتية والكاثوليكية باقحام الدين في الحياة السياسية والنشاط الاقتصادي ، وهي محاولة لا تعلن صراحة عن رغبتها في إعادة وصل الدين بالدولة ، فالفكر الغربي قد وطد في أسسه الجوهرية مبدأ فصل الدين عن الدولة ، وإنما ترغب في أن يتسرب التفكير الديني إلى صميم السلوك السياسي والاقتصادي ، ليحاول صياغة سياسة الحرب والسلم بلون من الاشعاع الديني ، بعد أن سيطرت عليه القوة الماردة ، قوة العلم وما خلقه من معاول للحرب والتوسع الاقتصادي

وبين البروتستانت والكاثوليك خلاف على أساليب الوصول إلى هذا الهدف ؛ فالفاتيكان ، وإن كان راغبا في توطيد السلم والاخاء ، والحد من استعمال آلات الدمار الجهنمية التي استنبطها العلم ؛ إلا أنه يفضل لو تم هذا السلام بعد القضاء على الشيوعية واقتلاع جذورها ، ولو كانت الوسيلة إلى ذلك حربا عالمية جديدة ، إلا أن البروتستانت — أو على الأقل طائفة من أبرز زعمائهم — يعتقدون بأن الحرب الطاحنة ، إذا حلت بهذا العالم فإنها لن تقضى على الشيوعية فقط ، بل إنها ستقضى على معالم الحضارة المسيحية الغربية كذلك ؛ ولذلك فبين أقطاب البروتستانت — كجماعة الكويكرز مثلا — من يعتقد بإمكانية العيش لجميع النظم السياسية والاقتصادية المعاصرة ، إذا صفت النية ، وساد جو العالم لون من الروحانية ، والسلوك الديني القويم

نيويورك عمر حليق